

## صفحات مشرقة من الواقع الحضاري للمرأة في تاريخ المسلمين

مصطفى محمد طه (\*)

### مدخل:

تعتبر الحضارة الإسلامية من أبرز الحضارات الكونية التي جسدت إلى أبعد الحدود بصمات حياة بارزة، لا تنكرها إلا العيون الرمداء، ولا سيما في إطار التمازج الحيوي بين عنصري البشرية الوحيدين، وهما الذكر والأنثى، وذلك عبر إضافتها طابعاً من المثالية الحقة على مثل هذا التفاعل الحضاري الحيوي بين الرجل والمرأة. ولعل الذي يساعد على تحقيقه في دنيا الواقع المحسوس، هو أن المرأة تُعد، ولاريب، بمثابة الكائن الحي الوحيد المتفرد في خصائصه البيولوجية (الحيوية)، والسيكولوجية (النفسية)، والسوسيولوجية (الاجتماعية). ومن هنا تأتي ضرورة تعاونها الفاعل مع نصفها العضوي الحي، وشطرها الثاني، الرجل، وكل ذلك من أجل صياغة كيان حضاري أمثل، وهو ما تحقق بالفعل بين الرجل والمرأة في ظلال

الرجل، 27، مع، 11، ص 1430 - بيروت، 2009

حضارتنا الإسلامية الباسقة، عبر دورتها الحضارية المتتالية، بدءاً من دورة الروح [عصر الرسالة والراشدين]، مروراً بدورة العقل [الدولة الأموية والعباسية]. وكذلك دورة الانحطاط الحضاري [إنسان ما بعد الموحدين]، وانتهاءً بدورة الانبعاث والإقلاع الحضاري [أيامنا هذه التي نحيها وما يليها من أيام قادمة من ضمير الغيب].

ولهذا لا نستغرب كثيراً إذا ما وجدنا أن ثمة عديداً من مفكري العالم قد عالجوا على مر العصور إشكالية المرأة في المجتمع، وكانت معالجتهم تأتي في بعض الأحيان على جانب كبير من الموضوعية، فمنهم من عرضوا لأفكار وآراء خضع بعضها لمعتقدات سائدة وتقاليد متوارثة، وانطلق البعض الآخر إلى دحض وتفنييد تلك التقاليد والمعتقدات، ومنهم من وصل إلى نتائج يُعتقد في صوابها، ومع ذلك ظل الفكر البشري في جميع العصور بين مد وجزر حول موقف المجتمع من المرأة، كما أن الحضارات المختلفة والديانات المتباينة، قد وقفت مع المرأة مواقف متغيرة بتغير القيم والمفاهيم، التي سيطرت على تلك الحضارات والديانات، وإن كان بعضها قد حقّرها صراحة وأدان إنسانيتها بوضوح<sup>(1)</sup>. إن العامل الهام الذي أعطى للمرأة مثل هذه الوضعية المتميزة في تاريخ الفكر البشري، أحياناً، ولاسيما إذا نظرنا إلى دورها في المجتمع بالمنظار الحضاري، هو أن المرأة كانت، ولازالت، تمثل ذلك الوعاء الحاني الذي يحتضن الإنسان، صانع الحضارة بشقيها (المعنوي والمادي)، وهو لا يزال بعد جنيئاً غضاً طرياً، يكون في أمس الحاجة إلى اللمسات الحانية والرعاية الحاذبة، التي من شأنها توفير الحماية والرعاية لهذا المولود، ثم نرى المرأة تغدق من حبها الثري الجياش على وليدها هذا، وهو لا يزال في مرحلة المهد، حتى يكبر ويحقق قفزات متوالية في طور الطفولة، فنراها تغذيه بالمودّة الصافية والمتابعة الجادة، لكل حركاته وسكناته وخطواته، إلى أن يشب عن الطوق ويصير بالتالي شاباً يافعاً، ومع ذلك نراها تواصل رعايتها له عبر حبها الحاني، وبالتالي تستمر في تقديم ذلك

العطاء غير المجذوذ له، إلى أن يغدو رجلاً مسلحاً بكل القيم المشعة التي من شأنها - ولاسيما إذا كانت على النسق الإسلامي - أن تساعد على تحقيق النمو الروحي والعقلي، القائم على مبدأ التوازن الحيوي بين أشواق الروح ومطالب الجسد، وذلك لأن النمو المتوازن إنما يستمد ولا ريب بنيته الأساسية من معين الشريعة الإسلامية السمحة، الذي لا ينضب أبداً، وهذا لأنه ﴿صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون﴾ [سورة البقرة: آية 138].

إن هذا الإنسان (الرجل)، الذي تربى في ضوء معطيات التربية الإسلامية الراشدة، حقيق به أن يسهم إسهاماً فعالاً في تشييد صرح الحضارة الشامخ، وهنا نرى أن علاقة الرجل بالمرأة تأخذ طوراً آخر، ألا وهو طور المشاركة في تحمل أعباء الحياة في معترك البقاء، وفي هذه النقلة النوعية حياتياً بالنسبة للرجل تكون المرأة زوجة رؤوم تساعد معاً على تشكيل الحضارة الإسلامية المعاصرة عبر دورة تاريخية جديدة، تعيد للأذهان ألق العبقرية الإسلامية، مما يضفي طابعاً من التجديد والديمومة على الوجه الحضاري المشرق لهذه الأمة على مدار العصور. وقد أتت طبيعة هذا الدور الفريد للمرأة مع الرجل الفرد داخل كيان الأسرة، من منطلق أن الأسرة هي اللبنة الأولى، والنواة الأساسية في بناء أي كيان حضاري، كما رسم الإسلام الإطار العام لهذا الكيان، وذلك لأنه لا يوجد أي كائن حي آخر سوى المرأة في مقدوره أن يعطي الرجل كل هذه المقومات اللازمة لتكوين البناء الحضاري، ومن ثم تعتبر المرأة بمثابة ذلك العصر الفاعل، الذي يسهم إسهاماً حيوياً في تشكيل الحضارة - أي حضارة - مع الرجل، ولولا المرأة النشطة، لما كانت هناك حضارة على ظهر هذا الكوكب الأرضي.

وفي هذا السياق الحضاري الفارد، يأتي قول الحق تبارك وتعالى:

﴿فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضهم

من بعض ﴿[سورة آل عمران: آية 195]. وكذا قوله الأقدس: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبثّ منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تسالون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً﴾ [سورة النساء: آية 1].

إن الإشعاعات الإيمانية لهاتين الآيتين الماجدتين - وغيرهما الكثير من آيات هذا الكتاب العظيم - تجعلنا نؤكد، وبكل الموضوعية، على أن المرأة كانت، وبلا ريب، هي محور ارتكاز كل الحضارات، التي شهدها الكون، منذ انبثاق فجر التاريخ، وحتى يومنا هذا، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين، وذلك لأن كل الحضارات البشرية قد نمت وتطورت، بل وواصلت مدّها الارتقائي بفضل مشاركة المرأة للرجل، مما ساعد على إضفاء الطابع التكاملي على المنجزات الحضارية للإنسان، وبطبيعة الحال، فإن الحضارة الإسلامية ليست نشازاً في هذا المضمار الحيوي. ومن هنا يمكن القول بأنه مع إشراقة شمس الإسلام على الكون انبثق إلى عالم الوجود المعاش حضارة متميزة هي الحضارة الإسلامية، التي احتلت المرأة تحت ظلالها الوارفة مكانة رفيعة، ولن تصل إليها في أي حضارة أخرى سابقة، أو حتى لاحقة.

وما كان للمرأة المسلمة أن تصل إلى هذا المستوى الفريد في جميع مناحي الحياة، لولا تعاليم الإسلام التي أنصفت المرأة كأحسن ما يكون الإنصاف. ومن ثم رأينا هذه المرأة تسهم إسهاماً واضحاً في تكوين البنية الأساسية لهذه الحضارة الباسقة منذ اللحظات التاريخية الأولى لانبثاقها من رحم التاريخ، أي منذ العصر النبوي، أو إذا شئنا الدقة، مجتمع التوحيد الأول وحتى عصرنا الراهن، الذي تعيشه أمتنا الإسلامية، حيث تمر بمرحلة تحول حضاري حاسمة، تعتبر، ولاريب، مفترق الطريق في مسيرتنا التاريخية الجديدة، ولاسيما في هذا العصر، فإما أن نكون أو لا نكون، مما

يقتضي منا ضرورة التعاون معاً، رجالاً ونساءً، وذلك من أجل العمل على إنقاذ أمتنا ومساعدتها على الخروج من هذا المأزق الحضاري الذي نمر به الآن.

## التصور الحضاري لدور المرأة في الإسلام:

لبلورة أبعاد الموقف الحضاري للإسلام في المرأة، فإنه يمكن التأكيد على أن الإسلام كدين وحضارة، قد جاء لكي ينتصر للإنسان وينصف المظلوم، ويخرج ببني آدم - عليه السلام - من ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، وكانت المرأة وحدها من العناصر البشرية التي استهدف الإسلام الانتصار لها وإنصافها وتحريرها ووضعها في مكانها اللائق الكريم على خارطة المجتمع الجديد<sup>(2)</sup>.

ولهذا رأينا أن الإسلام قد أعلى من مكانة المرأة وأمر برعاية الأم والأخت والزوجة والعمة والخالة.. ويقع على عاتق الرجل جميع المسؤوليات إزاء أمه وأخته ولأسيما في حال حاجتها إلى مساعدته، بينما لم يكف الإسلام المرأة بتحمل المسؤوليات عن أخيها. يضاف إلى ذلك أن الإسلام، قد أعطى المرأة حقوقاً اجتماعية وسياسية ومالية وأعطاهها حرية التصرف بأموالها وممتلكاتها. وقد برز من النساء في حضارة الإسلام، الشاعرات والأديبات والعلمات والطبيبات والممرضات... إلى آخره<sup>(3)</sup>. ومعنى ذلك أن الإسلام قد حرر المرأة مما كانت تعانيه من امتهان، وأعطاهها حقوقها كاملة في مباشرة حياتها الخاصة والعامة، وذلك داخل إطار من العفة والحياء يتفق وروح الإسلام وأدابه. وإذا كان القرآن الكريم قد نادى بأن الرجال قوَّامون على النساء ﴿الرجال قوَّامون على النساء بما فضلَّ الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم﴾ [سورة النساء: آية 34]. فإنه لم يترك هذه القوامة مطلقة، وإنما حددها بدرجة واحدة ﴿ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف

والرجال عليهن درجة ﴿[سورة البقرة: آية 228]. والهدف من هذا التفضيل المحدد، هو صلاح المجتمع وصلاح الأسرة مراعاة لطبيعة الرجل ومسؤولياته<sup>(4)</sup>.

### دور المرأة في الواقع الحضاري [عصر الرسالة 13 ق. هـ - 11هـ = 610-632م]:

يعتبر عصر الرسالة على الحقيقة بمثابة التنفيذ التاريخي لمعطيات الإسلام إزاء المرأة، وبمجرد إجراء مقارنة سريعة بين ما كانت عليه المرأة في العصر الجاهلي، على كافة المستويات، وبين ما صارت إليه بعد مجيء الإسلام، نتبين كيف يكون هذا الدين في جانب من جوانبه، حركة من أجل حقوق المرأة في عالم كان الرجل يستعبد فيه كل من لا يجد له قانوناً يحميه، أو سلطة فعلية يأوي إليها... وكانت المرأة في المجتمع الجاهلي عرضة للغبن والحيث، تؤكل حقوقها وتُبتز أموالها، وتحرم من إرثها وتُعضل بعد الطلاق أو وفاة الزوج من أن تنكح زوجاً ترضاه، وتورث كما يُورث المتاع أو الدابة<sup>(5)</sup>. ومن هنا نرى كم كان مدى النقلة النوعية التي حققتها المرأة في مطلع التاريخ الإسلامي، أو إذا شئنا الدقة، يمكن القول بأن البون كان شاسعاً بين حال المرأة في العصر الجاهلي، وحالها إبان عصر الرسالة - بشقيّه المكي والمدني - عندما كان الوحي المبارك يتنزل بالقرآن الكريم غصاً طرياً من تحت ينابيع العرش، على قلب الرسول [53 ق. هـ - 11هـ = 632-637م] - صلى الله عليه وسلم - حيث أصبحت عنصراً فاعلاً في تكوين بنية هذا المجتمع الوليد عبر تأدية دور بارز في بلورة آفاق وملامح هذا الكيان الإيماني والحضاري [مجتمع التوحيد الأول]، الذي بزغ في أعقاب ليل الجاهلية البهيم، لكي يبدد حنادس الظلام الدامس الذي لفّ حياة العرب في جاهليتهم، ولم يكن للمرأة أن تحقق مثل هذا التغيير الجذري إلا بفضل تعاليم القرآن الكريم بشأنها، يضاف إلى ذلك موقف السنة المتمايز من المرأة قولاً وسلوكاً.

ولعل أنصع صورة مشرقة للمرأة المسلمة في ذلك العصر المبارك، تبلور لنا مدى الوضعية المتميزة المسلمة آنذاك في صورة تلك المرأة العظيمة السيدة خديجة بنت خويلد [68 ق.هـ - 3هـ = 556-619م] - رضي الله عنها - الزوجة الأولى للرسول - صلى الله عليه وسلم - وأم المؤمنين وسيدة نساء العالمين، التي جعلها الله سبحانه وتعالى إلى جوار نبيه أمناً وسلاماً في ذلك الموقف الإيماني العظيم<sup>(6)</sup>.

إن وجود السيدة خديجة - رضي الله عنها - بجوار الرسول - صلى الله عليه وسلم - إبان ذلك العصر العابق بندى الإيمان، والمضمخ بشذى الإسلام، إنما يشي بمدى حيوية الدور الحضاري البارز للمرأة المسلمة في عصر التوحيد الأول، وذلك لأنها كانت بمثابة عامل حيوي في تشكيل هذا الكيان التاريخي المتميز - كما ألقنا سابقاً - ولهذا سرعان ما نما هذا المجتمع الفريد في مكة والمدينة، وقد جاءت فرادة هذا المجتمع من أنه لا ولن يشهد التاريخ أي كيان يماثله، سواء على المستوى الإيماني أم الحضاري.

وفي بداية التحليل ونهايته، إن الأهمية القصوى لدور السيدة خديجة في تكوين البنية الأساسية للحضارة الإسلامية، وهي في طور التشكيل على يد رائدها الأول سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - إنما تأتي من منطلق أنها كانت أول المؤمنين بدعوة الرسول - صلى الله عليه وسلم - ولذا كان لإيمانها ذاك أثر عميق في معنوية الرسول - صلى الله عليه وسلم - وهو يجابه بالتوحيد شرك العرب جميعاً، فكان كلما سمع من معارضيه رداً أو تكذيباً، شكا ما يلقي لزوجته البرّة، فتثبته وتخفف عنه، وتهوّن عليه أمر الناس<sup>(7)</sup>.

وغير خاف علينا بأن أفاق وملاحم العلاقة العضوية الحية بين

الرسول - صلى الله عليه وسلم - وزوجته الأولى السيدة خديجة - رضي

الله عنها - إنما هي على الحقيقة واضحة المعالم لدى جميع المسلمين، وذلك لأنها أنصع من الشمس في رابعة النهار، ولأريب في أن هذه العلاقة الحية إنما تعتبر ولأريب بمثابة المثل الأعلى الذي ينبغي على كل امرأة مسلمة، ولاسيما في واقعنا المعاصر، أن تستلهم منه كل القيم المشعة المنبثقة الإفرازات الشهية لهذه العلاقة المباركة بين الرسول وزوجته الأولى، حيث إن أمتنا الإسلامية في عصر العولمة، هي بحاجة ماسة أكثر من أي وقت مضى إلى صياغة نماذج بشرية واعدة بقدر ما هي واعية، حتى يتسنى لها الخروج من هذا المأزق الحضاري - كما ألمحنا سابقاً - ولن يتم لأمتنا تحقيق هذا المطلب الحيوي، إلا بعد تحقيق مثل التربية الراشدة للطفل المسلم، الذي سوف يشكل في قادم الأيام جيل النصر المنشود.

إن الواقع التاريخي المشرق لهذه الأمة الماجدة، إنما يؤكد على أن عطاء المرأة المسلمة في عصر الرسالة - بعهديه المكي والمدني - لم يقف عند اللمسات الإيمانية الحانية للسيدة خديجة - رضي الله عنها - بل إن المرأة قد شاركت إبان هذا العصر في الحروب، ونهضت بدور يتفق وطبيعتها في تضמיד جروح مجاهدي المسلمين وحثهم على الجهاد. ومن المعروف أن النساء كانت لهن بيعة مثل الرجال<sup>(8)</sup>. وفي هذا يقول عز من قائل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يَشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئاً وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبَهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعَصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة الممتحنة: آية 12].

وفي التحليل الأخير، نرى أن القرآن الكريم وسنة الرسول - صلى الله عليه وسلم - عندما تخاطب المسلمين بأمر أو تكليف أو إخبار، فهي لا تخاطب الرجل وحده، ولكنها تخاطب الرجل والمرأة معاً، ومعطيات المجتمع الإسلامي، بدءاً من تكون نواته الأولى، حيث أدّت خديجة أم المؤمنين دورها



المعروف بقسماته البارزة، وعبر سني عصر الرسالة كلها، إنما تؤكد، وبلا ريب على أن المرأة والرجل كانا حاضرين معاً في قلب الأحداث، فكلنا نذكر كذلك أن المرأة المسلمة تعلمت وعلمت، وسمعت وحدثت<sup>(9)</sup>.

### الواقع الحضاري للمرأة في عصر الراشدين [11 - 41 هـ = 632 - 668 م]:

يعتبر العصر الراشدي من المنظور التاريخي والحضاري، بمثابة الامتداد الطبيعي والإفراز الحيوي لعصر الرسالة إيمانياً وحضارياً، وقد جاء ذلك الطابع المميز لهذا العصر المبارك بعد أن استطاع الرسول - صلى الله عليه وسلم - بناء الإنسان المسلم الحق، وتكوين الدولة الإسلامية، وإرساء قواعد الحضارة الإسلامية، التي لم تلبث بعده إلا يسيراً حتى نمت وداحتها وملأت آفاق الأرض، وفاقت كل ما سبقها من حضارات<sup>(10)</sup>. ولهذا فإن الباحث المنصف إذا أراد أن يقدم تصور تاريخي للملامح واقع المرأة إبان هذا العصر من المنظار الحضاري، فيمكنه القول، بأن المرأة قد شاركت في العصر الراشدي بخوض العديد من المجالات الفكرية والأدبية. فالسيدة عائشة وأم سلمى - رضي الله عنهما - وحبوبة بنت أم حبيبة وأروى بنت كريب بن عبد شمس وأسماء بنت سلمة التميمية، قد برعن في الحديث النبوي والفقه والفتيا والأدب. وهناك عفراء بنت مهاجر بن مالك العذري وحميدة بنت النعمان بن بشير وعاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل، فقد أجدن الشعر وفنون الأدب<sup>(11)</sup>. كما اشتهرت في هذا العصر أيضاً عكرشة بنت الأطرش بالخطابة، والمشاركة في الحرب بين علي ومعاوية - رضي الله عنهما - وكانت المرأة المسلمة تصحب الجيش مثل قيادة السيدة عائشة لجند المسلمين في يوم الجمل (36 هـ = 656 م)، وكان يخصص للمرأة مكاناً في المدن الحصينة والمعسكرات<sup>(12)</sup>. وقد انعكست البصمات الحية للمكانة السامية التي رفع الإسلام إليها المرأة على وضعيتها المتميزة خلال العصر الراشدي، فبات لها الجراءة في اختيار شريك حياتها، أو رفقتها، حتى ولو

كان الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - كما فعلت ذلك أم كلثوم أخت السيدة عائشة - رضي الله عنها - بقولها: «لا حاجة لي فيه إنه خشن العيش شديد على النساء»<sup>(13)</sup>.

إن هذه المكانة المعنوية الرفيعة، التي وصلت إليها المرأة في عصر الراشدين واكبها مغالاة مادية في قضية المهر، علماً بأن زيجات الرسول - صلى الله عليه وسلم - والخلفاء من بعده، خير قرون هذه الأمة كان في غاية البساطة. فمهر السيدة فاطمة بنت الرسول - رضي الله عنها وصلى وسلم على أبيها - لم يتجاوز خمسمائة درهم. ولهذا أراد الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أن يدعو الناس إلى زيادة مهر بناتهم ونسائهم عن مهر زوجات الرسول - صلى الله عليه وسلم - فقاطعت إحدى النساء قائلة: «وماذا تقول في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً﴾ تأخذونه بهتاناً وإثماً مبيناً» [سورة النساء: آية 20]، فقال الخليفة عمر قولته الشهيرة: «أصابت المرأة وأخطأ عمر»<sup>(14)</sup>.

وفي ضوء ما تقدم، نخلص إلى أن المرأة كان لها ولأريب دور حيوي في تشكيل الهيكل العام للحضارة الإسلامية إبان العصر الراشدي، سواء في سلمه وحربه، في سياساته ومعطياته الحضارية على السواء، حيث كانت النساء في هذا العصر يختلطن بالجمهور، ويسمعن خطب الخلفاء، ويحضرن المحاضرات - إذا جاز التعبير - التي كان يلقيها علي بن أبي طالب وعبدالله بن العباس - رضي الله عنهم - وغيرهما<sup>(15)</sup>.

**الواقع الحضاري للمرأة في العصر الأموي [417-132هـ = 661-650م]:**

يمثل العصر الأموي، تاريخياً وحضارياً، نقطة تحوّل هامة في مسار الأمة الإسلامية، التي استطاعت خلاله أن تحقق نقلة نوعية - بكل المقاييس -

نحو تحقيق المدنية الإسلامية بكل ما لهذه الكلمة من معنى. ويؤكد السياق التاريخي لهذا العصر بأن المرأة المسلمة كان لها واقع حضاري متميز، أسهم في إضفاء نوع من الدينامية المتفجرة على المعطيات الحضارية لهذا العصر. وهنا نلاحظ أنه في بداية العصر الأموي قد بقي للمرأة المسلمة مكانتها التي منحها إياها الإسلام<sup>(16)</sup>. ومن شهيرات هذا العصر اللاتي أدين أدواراً ملموسة، يمكن الإشارة إلى دور أم البنين زوجة الخليفة الوليد ابن عبد الملك<sup>(17)</sup>، التي اشتهرت بالفصاحة والبلاغة وقوة الحجة، وبُعد النظر، وكانت تُستشار في أمور الدولة من قبل زوجها<sup>(18)</sup>.

ولقد كانت السيدة سكينه بنت الحسين بن علي، سيدة نساء عصرها، ومن أظرفهن وأحسنهن أخلاقاً، اجتمع إليها يوماً الشعراء جرير والفرزدق وكثير عزة وجميل بثينة... فنقدت شعر كل منهم، ثم أجازت كلاً بألف دينار. وكانت عائشة بنت طلحة بن عبيد الله من النساء اللاتي نبغن في الأدب وأيام العرب والنجوم، وفدت - ذات يوم - على هشام بن عبد الملك، فقال لها: «ما أوفدك؟» قالت: حبست السماء المطر ومنع السلطان الحق. فقال: إني سأعرف حقا، ثم بعث إلى مشايخ بني أمية فقال: إن عائشة عندي فاسمروا عندي الليلة، فحضروا، فما تذكروا شيئاً من أخبار العرب وأشعارهم وأيامهم إلا أفاضت معهم فيه، وما طلع نجم ولا أغار إلا سمته، فقال هشام: أما الأول فلا أنكره، وأما النجوم فمن أين لك؟ قالت: أخذتها عن خالتي عائشة، فأمر لها بمائة ألف درهم وردّها إلى المدينة<sup>(19)</sup>.

تلك كانت بعض المؤشرات واللقطات عن الواقع الحضاري للمرأة الأموية، التي أسهمت وبحيوية، في تشكيل الإطار التكويني لبنية الحضارة الإسلامية مع شقها الثاني، أو إذا شئنا الدقة شقيقها الرجل - وفقاً للمصطلح النبوي - خلال العصر الأموي، الذي يمثل، وبكل الموضوعية، بداية انطلاق حضارتنا نحو دورة العقل، فضلاً عن أنه كان يحمل في نسغه

ولحمته العضوية المتماسكة، ألق دورة الروح، الذي لم يخبأ سريعاً إلا عندما تقدمت الأمة في عمرها الزمني، ودخلت طوعاً أو كرهاً، في دورة الانحطاط، التي شهدت أفعال وسقوط الحضارة الإسلامية، ولاسيما في الجوانب المادية منها، أي المدنية.

### الواقع الحضاري للمرأة في العصر العباسي الأول [132-247هـ = 750-861م]:

استطاعت الأمة الإسلامية خلال العصر العباسي الأول، أن تصل إلى قمة التقدم الحضاري الشامل، ولهذا السبب يعتبر العصر العباسي عصوراً ذهبياً للحضارة الإسلامية في كل الناحي. ولقد عرف العصر العباسي - في كثير من حقه - تدخل النساء في القصر الخلافي بشؤون السلطة والحكم بصورة مباشرة، وإن كان تدخلهن في السابق بصورة غير مباشرة<sup>(20)</sup>. ولعل من أبرز النماذج النسائية التي كانت تتمتع بقسط وافر من الحرية، فضلاً عن تدخل بعضهن في شؤون الدولة إبان هذا العصر، الخيزران زوج الخليفة العباسي المهدي وأم الهادي والرشيد، وكانت كثيراً ما تسأل ابنها الهادي قضاء حاجات المترددين على بيتها<sup>(21)</sup>. وهناك أيضاً السيدة زبيدة زوج الخليفة هارون الرشيد وأم ابنه الأمين<sup>(22)</sup> التي تمتعت بنفوذ كبير في الدولة، فإنها حين حجّت إلى بيت الله الحرام سنة [186هـ = 802م]، وأدركت ما يعانيه أهل مكة المكرمة من المشاق في الحصول على ماء الشرب، دعت خازن أموالها وأمرته أن يدعوا المهندسين والعمال من أنحاء البلاد، وقالت له: «اعمل ولو كلفتك ضربة الفأس ديناراً». ووفد على مكة المكرمة أكفأ المهندسين والعمال ووصلوا بين منابع الماء في الجبال، حتى وصل الماء إلى مكة المكرمة - عبر ما عُرف بدرب زبيدة - ولا يزال يجري إليها حتى اليوم<sup>(23)</sup>.

ولم تقتصر مساهمات المرأة خلال هذا العصر، على الجانب السياسي والعمرائي فقط، بل إن المرأة العباسية كان لها على الحقيقة دور

مشهور في الحرب، فاشتركت فيها أم عيسى ولبابة بنتا علي بن عبدالله بن عباس عم الخليفة المنصور. وكان في عهد الرشيد يمتطين الجياد ويقدن الجند إلى ميدان القتال... كما بلغت المرأة في هذا العصر مبلغاً عظيماً من الثقافة حتى كانت تنظم الشعر وتناظر الرجل في عهدي الرشيد والمأمون، وكانت السيدة زبيدة شاعرة مثقفة، وكثيراً ما كانت تبعث برسائلها الفياضة أبياتاً شعرية إلى زوجها الرشيد<sup>(24)</sup>.

### الواقع الحضاري للمرأة في العصر العباسي الثاني [247-656هـ = 861-1258م]:

قُدِّرَ لعالم الإسلام أن يشهد خلال هذا العصر تبدلات سياسية أدت بالتالي إلى بروز خلافتين إصلاحيتين بجوار الخلافة العباسية في بغداد - هما الخلافة الفاطمية في مصر، والخلافة الأموية في الأندلس، ناهيك عن الكثير من الدويلات الإسلامية التي استقلت عن الدولة العباسية الجامعة، مثل الدولة البويهية ودولة السلاجقة... إلى آخره. وعن ملامح الواقع الحضاري للمرأة المسلمة في العصر العباسي الثاني، يمكن أن نشير إلى أن السيدة قبيصة زوج الخليفة العباسي المتوكل ودورها الحيوي إزاء تعاظم خطر العسكر التركي<sup>(25)</sup>، هذا فضلاً عن أنها قامت بدور هام في عزل الخليفة المستعين ليصفو الجو لابنها المعتز [252-255هـ = 866-868م]، كما أن السيدة شغب أم الخليفة المقتدر [295-320 = 907-932م]، قد استأثرت بنفوذ كبير في الدولة العباسية وليس أدل على ذلك من الكتاب الذي بعث به إليها الوزير المصلح علي بن عيسى، يتنصل فيه من التبعات التي ألقتها عليه في إدارة شؤون الدولة المالية... وقد اتسع نفوذ السيدة شغب إلى حد أنها استطاعت أن تعيّن قهرمانتها (تومال) صاحبة للمظالم، فكانت تجلس أيام الجمع في مكان بنته لها السيدة في الرصافة<sup>(26)</sup>، والقهرمانة هي موظفة في القصر الخلافي، ومسؤولة عن الاهتمام بشؤون الجاري والقيان. وقد عُرف عن هذه القهرمانة أنها بلغت حداً كبيراً من النفوذ على قصر الخلافة

بأجمعه، وعلى شخص الخليفة بالذات طيلة حكمه - حتى سُمي عصره بـ«حكومة النساء»<sup>(27)</sup>. وقد ازداد نفوذ حرم الخليفة في عهد الوزير حامد بن العباس، وأصبح يتدخل في شؤون الدولة، فكن يجلسن للمظالم وينظرن في رقاع الناس، ويصدرن الأوامر مذيّلة بتوقيعاتهن<sup>(28)</sup>، كما أن نساء السلاطين السلاجقة قد أدين دوراً محورياً في وراثة العرش<sup>(29)</sup>.

ولعل أبرز النسوة اللاتي استطعن تأدية دور بارز في العصر السلجوقي، النسوة التالية أسماؤهن مثل:

## 1 - ترکان خاتون [ت: 487هـ - 094م]:

استطاعت هذه المرأة أن تستولي بعد موت زوجها السلطان السلجوقي ملكشاه، على السلطة، وساست الأمور سياسة عظيمة، وأنفقت الأموال التي كانت تزيد على عشرين مليون دينار، فأرضت بها العسكر واتفقت مع الخليفة - المستظهر بالله العباسي [487-512هـ = 1094-1118م] - على ترتيب ولدها محمود في السلطنة، وكان عمره يومئذ خمس سنين، وعشرة شهور، وخطب له على منابر الحضرة، وترتب لوزارته تاج الملك أبو الغنائم المرزبان بن خسرو، وجاء عميد الدولة بخلع من الخليفة العباسي فأفاضها على محمود ودخل إلى أمه فعزّاها وهنّاها عن الخليفة، ثم خرجت إلى أصبهان، التي كانت بيدها ومعها عشرة آلاف فارس من الأتراك، وهكذا باشرت الحروب، ودبرت الجيوش، وقادت العسكر، بيموتها انحل أمر ابنها محمود، وعُقد الأمر لأخيه بركيارق بن ملكشاه<sup>(30)</sup>.

## 2 - السيدة بنت القائم بأمر الله [ت: 496هـ - 1102م]:

كانت هذه السيدة زوجة السلطان، وكانت موصوفة بالدين وكثرة الصدقة، وكان الخليفة المستظهر بالله قد ألزمها بيتها، لأنه أُبلغ عنها أنها تسعى إلى إزالة دولته<sup>(31)</sup>.

### 3 - قهرمانه المهتدي:

وهي تعتبر من النساء اللواتي كان لهن التأثير المباشر في وصول المستظهر إلى مركز الخلافة، لأنها كانت تتمتع بنفوذ كبير، فهي تنفذ مهام الدار العزيزة، كما ينفذ الوزير مهام الديوان العزيز، وحين قدمت الطبق للمقتدي كان عنده جارية صغيرة «حسب»، فمات فجأة، فأغلقت باب الحجرة، ووكلت بالباب من يحرسه، وأرسلت إلى الوزير وتعاهدت وإياه على تأمين مصلحة أصحابها وأصحابه، وعندما أخذت منه اليمين قالت: «حسن الله عزاءك في أمير المؤمنين فقد زمت أمر الدار فزم أنت أمر البلد»، ثم أدخلته على ولي العهد المستظهر، وقرر معه موت المقتدي وخلافته بعده، ومضى الوزير إلى السلطان وتدارس معه الأمر، ثم عاد وأجلس المستظهر وأشاع موت المقتدي، كل ذلك كان بتدبير القهرمانه»<sup>(32)</sup>.

وإذا كان هؤلاء النسوة البارزات والشهيرات في دولة السلاجقة، فإن ثمة غيرهن الكثيرات - لا يتسع المجال هنا لذكرهن وتبسيط الأضواء الكشفية على مناقبهن ودورهن البارز في التقدم الحضاري، الذي شهده المجتمع الإسلامي آنذاك - قد أدّين دوراً حيوياً في رسم الملامح الأساسية للواقع السياسي للخلافة العباسية وكذا الدولة السلجوقية - أقوى الدول المستقلة عن الخلافة إبّان هذا العصر - فإن هنالك الكثيرات من النساء اللاتي تسنى لهن أن يؤدّين دوراً ملموساً في التكوين العلمي لهذا العصر، مما يعطي لنا صورة مشرقة عن الواقع الحضاري للمرأة المسلمة آنذاك. وفي هذا الإطار العلمي، اشتهر عدد من النساء منهن: دلال بنت أبي الفضل محمد بن عبدالعزيز بن المهتدي، سمعت من أبيها، وتوفيت سنة [508هـ = 1114م]<sup>(33)</sup>. وهناك أيضاً نماذج مشرفة أخرى للمرأة المسلمة العاملة، خلال هذا العصر، مثل: رابعة بنت أبي الحكيم بن أبي عبدالله الحيري، وتوفيت سنة [512هـ = 1118م]، التي سمعت من الجوهري وابن المسلمة وابن النفور

وغيرهم، وقد حدثت وروى عنها ولداها وكانت خيرة، وهناك الحرانية، وبنت الجنيد، وبنت الفراد. وقد تتلمذ عليهن في الزهد أبو الوفاء علي بن عقيل، الذي توفي سنة [513هـ = 1119م]، وهو فريد دهره وإمام عصره، وكانت بنت الفراد منقطعة إلى قعر بيتها لم تصعد إلى سطح قط، ولها كلام في الورع، وكذا هنالك فاطمة بنت عبدالله الخيري الفرضي، وتوفيت سنة [534هـ = 1139م]، التي سمعت الحديث وحدثت به<sup>(34)</sup>.

ولم يقتصر بروز النساء خلال هذا العصر على الصعيد العلمي فحسب، بل هنالك من برز منهن في ميدان الزهد والتعبد، مثل: السيدة فاطمة بنت الحسين بن الحسن بن فلويه الرازي، التي كانت واعظة متعبدة، وكان لها رباط تجمع فيه الزاهدات، وقد سمعت أبا جعفر بن المسلمة وأبا بكر الخطيب، وسمع منها صاحب المنتظم بقراءة شيخه أبي الفضل بن ناصر كتاب ذم الغيبة لإبراهيم الحربي وروت مسند الشافعي<sup>(35)</sup>.

وفي مجال البر وأعمال الخير والتعبد برزت السيدة خاتون السفرية، وتوفيت سنة [515هـ = 1122م]، التي كانت محظية ملكشاه، فولدت له محمداً وسنجر، وكانت تتدين وتبعث حمال السبيل إلى طريق مكة المكرمة، ولما حصلت على الملك بحثت عن أهلها وأمها وأخواتها حتى عرفت مكانهم، ثم بذلت الأموال لمن يأتيها بهم، فلما وصلوا إليها ودخلت أمها وكانت قد فارقتها منذ أربعين سنة، فجلست البنت بين جوار يقاربنها في الشبه حتى تنظر هل تعرف أم لا، فلما سمعت الأم كلامها نهضت إليها فقبلتها وأسلمت الأم، فلما توفيت خاتون قعد لها السلطان محمود في العزاء<sup>(36)</sup>. ولم يكن المجتمع البغدادي آنذاك يستسيغ الاختلاط بين النساء والرجال في الطرق، وكان المحتسب لا يسمح حتى للزوجين أن يجتمعا في طريق خال من المارة، وكان يفصل بين النساء والرجال أثناء ركوب الزوارق عند عبور نهر دجلة، ولم يكتف المحتسب بذلك، بل أصدر سنة [502هـ = 1108م]، أمره بمنع



النساء من العبور مع الرجال في نفس الزورق<sup>(37)</sup>. وربما يستنكر القارئ المعاصر، الذي يعيش الآن وسط هذا الفلتان الأخلاقي، ويتساءل: ما صلة مثل هذا الموقع بالواقع الحضاري للمرأة المسلمة؟! وللإجابة نقول: لابد بداية أن ننظر إلى مثل هذه السلوكيات الأخلاقية التي تتسم بالحيلة والحذر، بغية نشر الفضيلة في المجتمع ضمن نطاق السياق التاريخي والحضاري لهذا المجتمع المسلم، الذي كان قريب عهد بانطلاقة الإسلام - إلى حد ما - ثم يضاف إلى ذلك، أن هذا المجتمع المسلم كان ينطلق في حياته الاجتماعية على ضوء النسق الإسلامي المعجز، الذي رسم ملامح العلاقة بين الرجل والمرأة، إنها في بداية التحليل ونهايته ممارسات - ربما تبدو عادية لدى البعض - ولكنها تحاول إضفاء طابع من الستر على المجتمع المسلم، حتى يظل مجتمعاً مثالياً، أهم سماته الوقار والجمالية، التي أرادها خالق الكون وبارئها ﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾ [سورة الملك: آية 14].

### الواقع الحضاري للمرأة المسلمة في العصر الفاطمي في مصر [358-567هـ = 969-1171م]:

لعل أهم صورة تاريخية ترسم لنا، إلى حد كبير، معالم الواقع الحضاري للمرأة المسلمة، تحت ظلال الدولة الفاطمية هو أن هذه المرأة قد استطاعت أن تؤدي دوراً واضحاً، لا يقل بأي حال من الأحوال عن ذلك الدور الذي قامت به من قبل في تاريخ عالم الإسلام على مدار الأعصار. ولعل أبرز نموذج للمرأة الفاطمية، هو ست الملك أخت الخليفة العزيز الفاطمي<sup>(38)</sup>، التي تميزت بالحزم ورجاحة العقل، واشتهرت بالكرم والحلم وتركت لدى موتها ثروة ضخمة<sup>(39)</sup>.

### الواقع الحضاري للمرأة المسلمة في المغرب الإسلامي:

وعن الواقع الحضاري للمرأة في بلاد المغرب الإسلامي، فيمكن القول

بأن المرأة كان لها شأن في هذه البلاد، حيث كان للنساء أثر كبير في الحياة

السياسية والفكرية، أمثال: أم ملال أخت باديس بن المنصور بن بلكين الضهاجي، وكذلك زينب زوجة الأمير يوسف بن تاشفين، وغيرهن كثير<sup>(40)</sup>. وبالمثل فقد أدت نساء الخوارج في بلاد المغرب دوراً مماثلاً في السياسة، كالسيدتين (دوسر) و(غزالة) اللتين تدخلتا في شؤون الحكم إبان العصر الرسمي في المغرب الأوسط (الجزائر)<sup>(41)</sup>.

وإذا كانت السطور السابقة تعكس إلى مدى كبير، القسّمات البارزة للواقع الحضاري للمرأة المغربية، عبر إسهامها في تشكيل الواقع السياسي لبلادها، في بعض العصور، فإن هذه المرأة كان لها إسهام بارز في الحياة الفكرية... ومن ذلك ما ذكره بعض أصحاب الطبقات والتراجم من أن المرأة في بعض مدن بلاد المغرب كانت حريصة على حضور مجالس العلم، إذ يُرى أن ماطوس كانت تحضر مجالس العلم، وذلك على الرغم من معارضة أخيها الذي كان يرقد أمام الباب لمنعها، فكانت تتركه حتى ينام، فتقوم بفتح الباب وتجاوزه وهو نائم، فتمضي وتحضر مجلس العلم ثم ترجع وتجاوزه وتدخل الباب كما كان<sup>(42)</sup>. كما أن أروى بنت عبدالرحمن بن رستم في تاهرت بالمغرب الأوسط، استطاعت أن تنافس علماء الفلك في عصرها<sup>(43)</sup>، وفي هذا دلالة أكيدة على مدى تنوع الإسهام الحضاري للمرأة المسلمة في مجالات العلوم المختلفة، عبر إبداعها في أكثر من منحى من مناحي الحياة الإسلامية، إبان عصور التآلق الحضاري في أكثر من بيئة من بيئات العطاء الحضاري الإسلامي.

### الواقع الحضاري للمرأة في الأندلس [92- 897هـ = 711-1492م]:

تمثل الأندلس، إذا ما نظرنا إليها بكل المعايير التاريخية، بقعة حضارية خصبة من بقاع عالم الإسلام المتراحم، على مدار التاريخ، وذلك لأن الأندلس قد ورثت حضارة الشرق الإسلامي، هذا فضلاً عن أنها قد

نمت وتطورت - في القارة الأوروبية - حيث وجدت العوامل الملائمة، ولاشك في أن حضرة الإسلام في مشرقه أو مغربه قد استفادت من حضارات الأمم السابقة، وإن كنا نرى أنها بذلك أيضاً قد أعبقت وأثقلت مسيرتها<sup>(44)</sup>. وقد بدأت تباشير الحضارة الإسلامية في الأندلس تظهر منذ أيام عبدالرحمن الأوسط في النصف الأول من القرن الثالث الهجري = التاسع الميلادي واستمر في الازدهار حتى بعد سقوط الخلافة، بل وحتى نهاية الأندلس المسلمة عند سقوط مملكة غرناطة سنة [987هـ = 1492م]<sup>(43)</sup>.

إن المنظور النسقي لمعطيات هذه الحضارة الفريدة التي كانت بمثابة نتاج طبيعي لتلاقح الحضارات على أرض الأندلس، إنما يؤكد وبلا ريب على أن الواقع الحضاري للمرأة الأندلسية، كان في أعلى مستوياته، إذا ما قورن بما سواه، لأن المرأة كان لها دور بارز في تشكيل البنية الأساسية لحضارة الأندلس، حيث كان لها شأن كبير، قامت الجوارى بدور هام في قصور الخلفاء والأمراء ورجالات الدولة<sup>(46)</sup>.

ولعل أبرز نماذج للمرأة الأندلسية، التي أدت دوراً ملموساً في عالم السياسة، السيدة صبح أم الخليفة هشام بن الحكم، الذي تشيد به المصادر الأندلسية<sup>(47)</sup>. فياترى من كانت تلك المرأة التي لبثت رديحاً طويلاً من الزمن تسيطر بسحرها ونفوذها، على خلافة قرطبة، وتشترك في تدبير شؤونها في السلم والحرب مع أعظم رجالات الأندلس؟ وللإجابة عن هذا التساؤل، نقول: لسنا نعرف الكثير عن نشأتها وحياتها الأولى... وكل ما تقدمه إلينا المصادر الإسلامية في ذلك، هو أن صبحاً كانت جارية بشكنسية أي نافارية<sup>(48)</sup>. وقد استمرت صبح أيام الحكم تتمتع في البلاط والحكومة، بنفوذ لا حد له، وكان الحكم يثق بإخلاصها وحزمها، ويستمتع لرأيها في معظم الشؤون، وكانت كلمتها هي العليا في تعيين الوزراء ورجال البطانة<sup>(49)</sup>. وبعد وفاة زوجها الحكم الثاني، كلنا نذكر كيف أنها تغلبت على أمور ابنها هشام المؤيد، الذي

لم يكن قد جاوز العاشرة من عمره، حين آلت إليه مقاليد الخلافة، وأصبحت تتمتع بالنفوذ المطلق والسلطان الذي لا يُحد، وأسندت الأمور إلى المنصور ابن أبي عامر، الذي غدا ساعدها الأيمن<sup>(50)</sup>. ولم يقتصر دور المرأة في الأندلس على الجانب السياسي وحده، بل إن هنالك عدداً كبيراً من النساء قد ظهر ونبع في ميدان العلوم البحتة أيضاً، وأصبحن أستاذات كما ظهر منهن أدبيات وشاعرات درسن الأدب<sup>(51)</sup>.

وفي هذا السياق الحضاري ذكرت لنا المنتخبات الأدبية التي تشير إلى النساء اللاتي أسهمن في النشاطات الفكرية أو الفنية في الأندلس، بأن هناك حوالي [116] امرأة أندلسية في معاجم الأعلام ما بين القرن الثاني والثامن الهجري = الثامن والرابع عشر الميلادي، ومن بينهما اثنتان فقط صنفتا على أنهما عالمتان، وهما الفقيهة فاطمة المغامي، وحفصة بنت حمدون، وثلاث وُصفن بأنهن يرعين العلم، بينما ذُكرت الأخريات لانتباسهن إلى بعض العائلات المرموقة، والنساء اللواتي أسهمن في قول الشعر (44 شاعرة)، والأدبيات (22 أدبية)، والكاتبات (11 كاتبة)، والنساخات (4 نساخات)، (3 مؤلفات معاجم ونحويات، (16 امرأة كن يقرأن القرآن ويعرفن معانيه وهناك (6 نساء كرسن أنفسهن للحديث، (8 نساء تفرغن للزهد، و(6 يعرفن الفقه، و(4 يعرفن التاريخ والأخبار، و(واحدة) تعرف الحساب، و(واحدة) تعرف علم الكلام، و(واحدة) تعرف علم الفرائض، إضافة إلى العديد من فتاوى والدها، وإحدى النساء، وهي زوجة قاضي غرناطة، وربما كانت في القرن الثامن الهجري = الرابع عشر الميلادي، كانت مشهورة بمعرفتها للفقه، وهي كما يذكر ابن الخطيب في كتابه الشهير (الإحاطة في أخبار غرناطة)، فاقت زوجها في معرفة الأحكام، وهناك أخرى كانت تفهم في الطب، حتى أنها مارسته، ولكن، وكما تقول الوثائق الشرعية، فإنها مارسست تطبيب النساء<sup>(52)</sup>.

وفي ضوء هذه المعطيات البحثية ذات الطابع الإحصائي الدقيق إلى حد ما، يمكن القول وبكل الموضوعية، أنها تعكس إلى أبعد الحدود ما كان عليه حال المرأة في الأندلس، عبر عصورها المختلفة، مما يعني أن الواقع الحضاري المتميز للمرأة الأندلسية قد ساعدها إلى حد كبير على الإسهام الفاعل - بجانب الرجل الأندلسي - في تكوين هذا الكيان الحضاري الذي مثل النبوغ الإسلامي في أوروبا لمدة ثمانية قرون من الزمان، هي عمر الحضارة الإسلامية في الأندلس، وهذا الإسهام النسوي لا يقل بأية حال من الأحوال عن إسهام الرجل.

### الواقع الحضاري للمرأة في العصر المملوكي [650 - 922هـ = 1252 - 1517م]:

يبرز المماليك في التاريخ الإسلامي كفتة أجنبية اعتنقت الإسلام، ثم تحمست له، وعملت على رفعة شأنه ودعمه سياسياً واقتصادياً وفكرياً، وقد حقق هذا التفوق للمماليك استمراراً أربى على القرنين ونصف القرن في أكبر بقاع عالم الإسلام مصر والشام، ولعل من أهم الأسباب التي هيأت للمماليك عوامل الاستقرار والحكم والنهضة الحضارية والحماس الديني، الذي ملك على هؤلاء قلوبهم فحققوا النصر على الصليبيين في المنصورة، ثم استطاعوا الصمود أمام جحافل المغول في معركة عين جالوت [658هـ = 1260م]، وقضوا على آخر معاقل الصليبيين في بلاد الشام، ولهذا كسب المماليك بهذه الانتصارات شعبية مطبقة بين شعوب مصر والشام<sup>(53)</sup>.

ومن هنا يمكن القول بأن العصر المملوكي يعتبر عصرًا ذهبيًا من عصور الإسلام، إذا ما نظرنا إليه من الوجهة الحضارية البحتة، ولهذا لا نستغرب أن يكون للمرأة المسلمة فيه واقع حضاري لا يقل بأي حال من الأحوال عن الواقع الحضاري لسابقتها في العصور الماضية، ولعل هذا هو الذي يضفي نوعاً من الطابع الحضاري المتميز على معطيات هذا العصر

بشقيه البحري والجركسي. إن أول نموذج حي يجسد ملامح الواقع الحضاري للمرأة، الذي أهّلها للإسهام المباشر في تكوين معالم هذا العصر، من المنظار السياسي، هو دور شجر الدر التي أبلت بلاءً حسناً في مواجهة حملة لويس التاسع ملك فرنسا على مصر<sup>(54)</sup>، حيث قاد الحملة الصليبية السابعة الشهيرة عام [648هـ = 1250م]، ولهذا السبب أصبحت شجر الدر أولى سلاطين الممالك في مصر، كما ذهب إلى ذلك الدكتور سعيد عبدالفتاح عاشور. وفي هذا السياق التاريخي، يروي المقرئ كيف تطرق بعض الولاة في القاهرة سنة [737هـ = 1336م] في مصادرة التجار، وإنزال المظالم بهم، فقام كثير من كبار الأمراء ليشفعوا للتجار، ولكن السلطان لم يسمع لهم قولاً، حتى إذا ما قامت ست حدق زوج السلطان الناصر محمد في رفع الظلم عن التجار، فعندئذ استجاب لها السلطان؛ وعندئذ أدرك الناس مدى سلطة نساء أهل الدولة ونفوذهن، فصاروا يوسطونهن لقضاء حوائجهم، وقد حكى السخاوي عن العالم الذي توصل إلى منصبه عن طريق زوجته «لمزيد اختصاصها بخوند العظمى»<sup>(55)</sup>.

ولم تقتصر فرادة الواقع الحضاري للمرأة المملوكية على التدخل في بعض شؤون الدولة، وإنما شاركت أيضاً مشاركة فعالة في الحياتين العلمية والدينية، وهنا يكتسب واقعها الحضاري مزيداً من التآلق والأهمية. وفي هذا المضمار يسجل التاريخ أسماء كثيرات ممن اشتغلن بالنحو وحفظن منه الشيء الكثير، كما نظمن الشعر. أما من اشتغلن بالفقه والحديث فعددهن لا يحصى. وقد دأبت كثيرات منهن على التنقل بين بغداد ودمشق والقاهرة وغيرها من المدن الإسلامية - شأن فقهاء ذلك العصر - للسمع من كبار العلماء والمحدثين وكثير من كبار الفقهاء وعلماء الحديث في ذلك العصر - كابن عساكر وابن حجر - لم يروا حرجاً في الاعتراف بأنهم سمعوا من فلانة وفلانة من المحدثات، وأن بعضهن أجزن لهم. فالحافظ ابن عساكر في دمشق يروي أنه سمع من ملكة بنت داود، وأنها أجازت له جميع حديثها،

وابن حجر في القاهرة يذكر أنه حصل على إجازتين، الأولى: من شمس بنت ناصر الدين محمد، والثانية: من خديجة بنت العماد الصالحية. كذلك أقبلت النساء في هذا العصر على مجالس العلم والدين، فحرصت كثيرات منهن على الذهاب إلى المساجد والجوامع حيث كن يجلسن في مكان منفرد عن الرجال لسماع الدروس الدينية أو للوعظ والتعليم. من ذلك ما ذكر ابن عساكر من أن فاطمة بنت سهل بن بشر - المدعوة ست العجم - «كانت تعظ النساء في بعض المساجد»<sup>(56)</sup>.

وإذا كانت السطور السابقة تبلور لنا صوراً مشرقة من الواقع الحضاري للمرأة المملوكية، عبر دورها الناهض في ارتقاء الحياة الفكرية جنباً إلى جنب مع الرجل، ولاسيما في إطار علوم الدين واللغة، فإن ثمة دوراً متميزاً للنساء في هذا العصر تبذرت قسماته البارزة في منحى آخر، ولكنه يؤكد، وبلا ريب، على مدى فعالية دور المرأة في تشكيل الهيكل العام لحضارة مصر الإسلامية، إبان العصر المملوكي، وهذا الدور هو نشاط النساء في شوارع مصر وأسواقها ومنتزهاتها، حيث كان أوسع مما يُظن. وقد لاحظ الفقيه ابن الحاج - في القرن الثامن الهجري = الرابع عشر الميلادي - أن النساء في عصره يباشرن معظم أمور الشراء في الأسواق «بل الغالب أن المرأة تشتري لزوجها ما يحتاج إليه في لباسه»، فإن لم يكن لهن حاجة في السوق، فإنهن يذهبن إلى الحمامات العامة، حيث يأسن ببعض، وكثيراً ما خرجت النساء إلى أماكن النزهة - مثل غوطة دمشق أو شاطئ النيل - وغيرها من أماكن النزهة والفرجة<sup>(57)</sup>.

تلك كانت بعض المؤشرات السريعة عن المعالم البارزة للواقع الحضاري للمرأة المسلمة عبر عصور التائق، وكذا عصور الانحطاط لحضارة الإسلام، بدءاً من عصر الرسالة، ومروراً بالعصرين الأموي والعباسي، وانتهاءً بعصر المماليك، قدمنا عبرها ما يؤكد على أن ثمة واقعاً

حضارياً كانت تعيشه المرأة المسلمة، ولم نرد تسليط الأضواء الكاشفة على الواقع الحضاري للمرأة في عصر الدولة العثمانية، وذلك حتى لا تتضخم الدراسة، وربما يكون لذلك دراسة أخرى في المستقبل.

### السييل إلى دور فاعل للمرأة المسلمة في تكوين الحضارة الإسلامية المعاصرة:

كشفت لنا السطور السابقة، بأن دراسة وتحليل أبعاد الواقع الحضاري للمرأة المسلمة على مدار التاريخ، من شأنه أن يبيلور لنا إلى حد ما كيف استطاعت هذه المرأة تاريخياً، أن ترسم صورة مشرقة، تعد، ولاريب، من أشرف الصور الحية التي أسهمت في تكوين البناء الحضاري الإسلامي، ولهذا فإننا نرى وبكل الموضوعية، أن الأمة الإسلامية في واقعنا المعاصر، ولاسيما إذا كانت تريد فعلاً تحقيق حضارة إسلامية معاصرة، فإنما ينبغي عليها ألا يفوتها أبداً أن للمرأة المسلمة دوراً حيوياً في تكوين مجتمعها الأمثل. ولن يكون هذا الدور فعالاً ولا مستثمراً، بل ولا مستفاداً منه ما لم يكن متماشياً مع صلاح المجتمع وفلسفة الحضارة الإسلامية، فضلاً عن تجانسها مع هبة الله تبارك وتعالى للأنتى، التي تفردت بخصائصها ومميزاتها التي حباها الله إياها، حتى وإن بدا للبعض أن في ذلك حجراً على المرأة وتجاوزاً لما جرى عليه عرف المطالبين بحقوقها، بمعنى أننا عندما نريد الدفاع عن مهمة المسلمة المعاصرة، فلا بد أن يكون ذلك مرتبطاً بما فيه ارتقاء مجتمعتها، وبما لا يخالف تكوينها، وذلك نظراً لوجود علاقة وثيقة بين ذلك وصلاح المجتمع، إن أريد أن يكون للمرأة دور فعال ورائد في تكوين البناء الحضاري المنشود لأمتنا فيما يستقبلها من أيام على ظهر هذا الكوكب الأرضي<sup>(58)</sup>.

إن المسلمة المعاصرة لن يكون في مقدورها بأي حال من الأحوال تأدية ذلك الدور المناط بها أداؤه في صناعة الحضارة الإسلامية المعاصرة، إلا إذا عاشت في ظلال واقع حضاري مماثل لسابقتها، وفضلاً عن ذلك



مطلوب منها، وبقوة، أن تستمد قواعد نهضتها المعاصرة من انبعاث قيمها الإسلامية الأساسية، التي رسمها لها القرآن الكريم، ودعا إليها الإسلام، وليس من فكر الغرب المستورد والبعيد كل البعد عن الواقع الإسلامي. فلقد فتح الإسلام الطريق أمام المرأة على أساس من مقومات الكرامة والخلق، وبناء شخصية المرأة على أساس الإيمان والتربية؛ دون أن يضطرب بها الطريق، فليست المرأة في مفهوم الإسلام، أداة للمتعة فقط. وإذا كان الغرب قد أخرجها من أجل ظروفه الاقتصادية الطاحنة بعد الحرب، فإن الصحوة الإسلامية اليوم ترى أن بناء شخصيتها على ضوء مفهوم هذا الدين، والخلق القويم، هو عامل هام في قدرتها على مواجهة الحياة العامة بنجاح وعمق<sup>(59)</sup>. ولذا فإن المسلمة المعاصرة تستطيع، إذا أرادت عن قناعة، أن تجد لها مكاناً متميزاً وإيجابياً في نهضة الأمة مرة ثانية، وذلك إذا ما استمسكت بتلك القيم المشعة للإسلام، ووازنّت بين حاجة أبنائها وأسرتها وحاجة العمل نفسه، ودورها الطبيعي الفعال في تكوين الأمة الحضاري<sup>(60)</sup>.

ومن هنا، فإن غياب المرأة المسلمة عن الساحة الاجتماعية وعدم حضورها اليومي في سدى الحركة الاجتماعية ولحمتها، لهو تقليد متأخر، ما عرفته عصور الإسلام المتألفة عبر السيرة الطويلة، فصحيح أن البيت هو مكان المرأة الطبيعي في المجتمع الإسلامي من أجل أن تمارس وظيفتها الأساسية في حجر الزاوية والخلية الأولى للمجتمع، ومن أجل أن تنسجم مع تكوينها وقدراتها ومهمتها في الكون، إلا أن هذا لم يحجب أو يمنع نزول المرأة إلى قلب المجتمع، إلى ساحته الكبيرة لكي تسهم بفعالها، وحضورها هناك جنباً إلى جنب مع إسهامها في البيت، فالوظيفة الأولى لا تنفي الوظيفة الثانية، بل تُعد أساسها وقاعدتها، وإن التاريخ الإسلامي يشهد على صدق هذه المقولة، حيث برزت المرأة وتألقت: ربة بيت وزوجة وأمّاً، وأيضاً... معلّمة ومتعلّمة، وطبيبة، وباحثة، وسياسية، وعاملة، وتاجرة، ومقاتلة. فمادامت المرأة في المجتمع المسلم تتحرك وفق الشروط والمواصفات والتقاليد التي رسمها

الإسلام وأرساها نبيه الأمين - صلى الله عليه وسلم - وصحابته الكرام - رضوان الله عليهم جميعاً - فإنه لا ضير في أن تذهب وتجيء، وتفعل وتقول، وتمارس التعبير عن قدراتها في الساحة التي تجد أنها أهل للتحقق من خلالها، وذلك لأن الإسلام هو في ناحية من نواحيه، عقيدة تحقيق الذات، وأن المرأة لهي إحدى الأقطاب، التي جاء الإسلام لكي يعينها على هذا التحقق<sup>(61)</sup>.

### تصورات ختامية حول الواقع الحضاري للمرأة المسلمة:

يشي التصور الختامي الأول لواقع المرأة الحضاري في عالم الإسلام الرحيب، على مدار الأعصار، بأن المرأة كان لها دور بارز في تكوين البنية الأساسية لحضارة الإسلام، هذا فضلاً عن إسهامها في تكوين النسيج التاريخي المتميز لهذا العالم، وذلك منذ اللحظات التاريخية الأولى لانبثاق حضارة الإسلام من رحم التاريخ، ولاسيما إبان عصري الرسالة والراشدين، أي منذ البدايات الأولى لتأسيس حضارة الإسلام، وقد استمر واقعها الحضاري متميزاً فيما تلا ذلك من عصور، حتى وصلنا إلى عصور الانحطاط والسقوط الحضاري المروع، فأصاب المرأة ما أصاب أمتها من انتكاس، فتراجع واقعها الحضاري، كما تراجع واقع الرجل، وتقوقعت المرأة داخل شرنقتها، التي أرادها لها بعض المتغربين، حتى وإن بدا في الظاهر أن المرأة قد حققت بعض المكاسب الخادعة هنا أو هناك.

إن شاهد التاريخ، الذي يعتبر بمثابة المؤشر الحيوي الدال على دينامية هذا الواقع، إنما يشي بمدى النشاط الاجتماعي الذي انفسح أمام المرأة، ولاسيما إبان العصور الأموية والعباسية وغيرها، فانداحت دائرة المجتمع المسلم لكي تضم عناصر ومعطيات وخبرات جديدة، وبالتالي ازدهمت شبكة العلاقات الاجتماعية بالمزيد من الجزئيات والتفاصيل، ولهذا

التقينا بدور أشد كثافة للمرأة المسلمة، وعلى المستويات كافة، وبحشود يصعب حصرها من النسوة المسلمات اللواتي أدين دورهن المتألق في هذه الساحة أو تلك من ساحات الأنشطة الاجتماعية والسياسية والثقافية والحضارية عموماً<sup>(62)</sup>. مما يعكس واقعاً حضارياً متميزاً للمرأة المسلمة في هذه العصور، بل وفي كل البيئات الحضارية التي انتشر فيها الإسلام.

وإذا كان الواقع الحضاري للمرأة المسلمة في نطاق الأسرات الحاكمة، قد ساعدها على أن تؤدي دوراً سياسياً مشهوراً - صبح وشجر الدر نموذجاً - بحكم من السلطة وارتباطها بالأجهزة الحاكمة وذوي السلطان، فإن المرأة المسلمة وعموماً قد أدت أدواراً أخرى على مستوى الثقافة والتربية - نساء الأندلس نموذجاً - لا تقل أهمية بحال من الأحوال عن دورها البارز في السياسة والحرب. والملاحظ أن كثيراً من هاتيك النساء، لم يكن ينتمين إلى القصور، أو يرتبطن بالغنى والجاه والسلطان، بل كن من عامة الناس ومن أبناء الشعب على امتداده<sup>(63)</sup>، وما كان لهذا أن يكون لولا الواقع الحضاري الفريد للمسلمة، سواء كانت من الأسر الحاكمة، أم كانت من صميم المجتمع المسلم، الصانع الحقيقي للتاريخ والحضارة.

أما التصور الختامي الثاني، الذي نصل إليه في نهاية هذه الدراسة، فهو أن حشود النساء الأندلسيات، اللاتي نبغن في أكثر من علم من العلوم الحضارية، التي عرفها الإسلام إبان عصور تألقه الحضاري، وخصوصاً في الأندلس، إنما تكشف لنا عن مدى دينامية الواقع الحضاري لهذه المرأة، حتى ولو قمنا بمجرد إلقاء نظرة طائر على كتب التراجم، التي تغمر مكتبتنا التاريخية - أسوة بالأندلس - مما يتبين لنا معه المدى الشاسع لحجم الدور الثقافي والتربوي، الذي أدته المرأة المسلمة، وهي تتحرك في القاعدة، وتطلق من صميم الشعب، بعيداً عن مراكز السلطة والغنى والجاه - كما أُلحنا - يدفعها إلى ذلك إيمانها العميق وحرصها على التعلم والتعليم باعتباره جزءاً

أساسياً من تكوينها الديني، الذي ظلت إلى فترة قصيرة تضرب به الأمثال (64).

إن المعطيات التاريخية التي تُوَطر لأفاق وملامح الواقع الحضاري للمرأة في عالم الإسلام، إنما هو بمثابة المدخل الطبيعي الذي يُوَطر لطبيعة الدور الرائد، الذي قامت به المرأة في تكوين الحضارة الإسلامية، ودليلنا على ذلك هو أنه من لمسة حضارية، توصل إليها العقل المسلم في واقعه التاريخي المشرق - وربما الراهن - إلا وكانت المرأة المسلمة هي المفجرة للطاقات الدينامية الكامنة وراء هذا الانبثاق الحضاري في شتى مناحي الحياة، أليست المرأة المسلمة هي التي اندفعت طوال حقبة التاريخ الإسلامي، منذ فجره الباكر مع مطالع البعثة النبوية وحتى لحظتنا الراهنة، في مضمار العلم النافع، والعمل الحيوي الذي ينفع الناس في الدنيا والآخرة. وكانت دائماً تحمل معها قيم الإسلام، سواء كانت إيمانية أم حضارية، إنها القيم الخالدة التي شَعَت بنور الإيمان الوضاء، لأنها منبثقة عن دوحة التصور الإسلامي الحق، الذي رسم معالمه الواضحة القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وقد أصبح نموذجاً يُحتذى به في دنيا الناس وواقعهم المحسوس، بفضل سلوكيات المسلمين الملتزمين بمنهج ربهم عز وجل.

وفي ضوء ما تقدم، نخلص إلى أن تلك الحقائق التاريخية التي عرضنا لها كمؤشرات تدل على مدى حيوية الدور الحضاري للمرأة المسلمة تاريخياً، إنما تؤكد على أن المرأة المسلمة كانت تتحرك وتمارس دورها المتميز في واقعنا التاريخي، منذ اللحظات الأولى لانبجاس حضارتنا الإسلامية من ضمير الغيب، أي منذ عصري الرسالة والراشدين، وما تلا ذلك من عصور التألق الحضاري، عندما كان الإسلام هو المرجعية الوحيدة للأمة، مما ساعدها على صياغة نسقها الحياتي والسلوكي الفريد، على

ضوء المفاهيم الأخلاقية المترعة بالأصالة القرآنية، وهدى النبوة، مما أضفى على هذا الواقع المعاش آنذاك روحاً حضارية وطابعاً من التكاملية والشمولية، التي اتسم بها التصور الإسلامي - ضمن سمات أخرى - تجاه الكون والحياة والإنسان. وعلى الرغم من ذلك فإن واقعنا الراهن - كما ألمحنا سابقاً - يؤكد وللأسف الذريع بأن المرأة في عالمنا الإسلامي المعاصر، قد أصابها ما أصاب أمتها من نكبات حضارية متتالية حلت بهذه الأمة، وذلك من جراء تنكرها لبعض مفاهيم دينها الحق بشأن المرأة. ومن ثم فإنه لا أمل في الخروج من هذا المأزق الحضاري إلا بعودة الأمة - كل الأمة - إلى منابعها الصافية، وذلك باستلهاً هدي الإسلام الخالد، في هذا المضمار الحيوي. ونعني به عودة الروح والفعالية لدور المرأة المسلمة في إعادة تشكيل العقل المسلم، وتحقيق حضارة إسلامية معاصرة من جديد، في ضوء معطيات الإسلام لأبعاد الرسالة الحضارية للمرأة في الوجود، وبذلك تكون المرأة بحق الوعاء الحالي لهذه الحضارة المنشودة، كما كان العهد بها دائماً.

وفي التحليل الأخير، نرى أن المسلمة المعاصرة سوف تكون ذات رسالة حضارية تتسم بالدينامية المتفجرة في مرحلة الإقلاع الحضاري، التي ينبغي إعداد الأمة برجالها ونسائها من الآن، للاستعداد لهذه المرحلة الهامة. وبناء على هذا، فإننا في حاجة ماسة إلى الفهم الواعي لتلك الأبعاد، التي جعلت من المرأة المسلمة وعاءً حالياً لهذه الحضارة، ونعتقد جازمين بأن الواقع الحضاري الذي تفيأت المرأة في ظلاله مقومات الإبداع، هو الذي سهل مهمتها الحضارية هذه، وبالتالي فإنه لكي تعاود المرأة المسلمة المعاصرة استئناف هذا الدور الريادي من جديد فإنه لا بد من حدوث اعتناق حضاري حقيقي لهذه الأمة الحائرة، كما يشي بذلك واقعها الراهن، حيث هي على الحقيقة حائرة ما بين أصالتها القرآنية والاعتراب الحضاري

المعاصر، وبالتالي انبهت منها بعض معالم ذاتها الحضارية، لذا، فإنه لابد من العمل على إعادة التألق لها من جديد.

وإزاء هذا الفصام النكد الذي أصاب الوضع المزدوج للمسلمة المعاصرة، فإن ثمة ضرورة حضارية وإنسانية معاً، تحتمان علينا كمسلمين الأخذ بعين الاعتبار، أن النهوض الحضاري المطلوب تحقيقه للخروج من حالة التخلف الحضاري، التي تحياها الأمة على كافة المستويات والصعد، إنما هو متوقف في الأساس على أن يعود للمرأة المسلمة المعاصرة مكانها المسلوب منها، وليس خافٍ على أحد بأن المكان الرفيع قد ضمنه لها الإسلام ضمن مصادره الأساسية. إن الذي يدفعنا إلى إبداء مثل هذا التوجس، إنما هو حال بعض المجتمعات المسلمة، التي انحرفت فيها وضعية المرأة عن المسار الطبيعي الذي رسمه الإسلام لرسالة المرأة.

وفي هذا السياق، يبرز تساؤل حائر مفاده: هل ثمة فارق بين مصطلحي مسلمة وإسلامية؟ وللإجابة نقول: إن هناك فرقاً كبيراً بين هذين المصطلحين «مسلمة وإسلامية»، ومن هنا فإننا نرى أن ثمة مجتمعات كثيرة مسلمة وليست إسلامية، كما ذهب إلى ذلك الدكتور أحمد القديدي، ولعل السبب الذي حدا به إلى تبني مثل هذا المذهب، هو أن المرأة في المجتمعات الأولى بدل أن تكون هي مصدر الإلهام والعطاء الحضاري المتدفق، أصبحت مجرد سلعة تجارية تباع وتشترى لمن يدفع أكثر، وباليات الأمر وقف بهذه المجتمعات المسلمة عند هذا الحد، بل إن ما يزيد الطين بلة، هو أن وسائل الإعلام المعاصرة، ولاسيما الفضائية منها، تحاول جاهدة بكل ما توفر لها من وسائل وتقنيات متقدمة تمثل طفرة نوعية من طفرات التكنولوجيا المعاصرة، أن تبرز المرأة بصور شتى، وأقل ما توصل به هو أنها مقرزة للنفس السوية، سواء نظرنا إليها بالمعيار الفطري أم بالمعيار الأخلاقي.

ولعل أبرز حالة تجسد مثل هذا الفلتان الأخلاقي اللاإنساني، إنما هي

حالة المرأة التي تصور الإعلانات التجارية، فهي تظهر في أوضاع غريبة، على أنها عامل جذب وتشويق في الإعلان عن سلع كثيرة، وهنا نتساءل: هل الغرض فعلاً من هذا الإعلان هو التسويق للمنتجات السلعية، مما يتسبب في زيادة نهم الإنسان المعاصر إلى إفرازات المدنية المعاصرة، التي لا هم لها إلا تلبية نداء الغريزة الشرائية لدى هذا الإنسان الاستهلاكي، الذي أصبح سمة أساسية لأغلب المجتمعات المسلمة المعاصرة، إلا من رحم ربك وقليل ما هم. إن انغماس هذا الإنسان الحائر حتى النخاع في هذا الأتون المادي البحت والمتأجج معاً، إنما هو على الحقيقة الذي ساهم في انبهاام ملامح الواقع الحضاري الراهن للمسلمة المعاصرة، حتى صارت نموذجاً صارخاً للاستلاب الحضاري، وهي بالتالي لا تدري ماذا تأخذ من حضارة العصر، وماذا تدع، وهل تعود لأصالتها الحضارية ومن قبل ومن بعد، لهويتها الإسلامية الحقّة، أم أنها سوف تظل حائرة بين العودة للذات والاغتراب الحضاري؟!... إنها حالة عدم التوازن، فلا هي إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، ولا منقذ من تداعيات هذه السلبية إلا الاحتماء بمنهج الخالق عز وجل.

وأخيراً، وليس آخراً، فإن كل المؤشرات السابقة تدل على أن الواقع المتأزم الذي نحياه يؤكد على أن استمرار هذه الوضعية المزرية للمسلمة المعاصرة في بعض الأوساط، سوف يوقع الأمة - كل الأمة - في مأزق حضاري، لا مخرج منه إلا بالعود الحميد للمفاهيم الإسلامية الحقّة التي أعادت للمرأة المسلمة كيانها المهدر، فضلاً عن أنها قد سمت بالمرأة إلى علياء السماء فسمقت هذه المرأة وتألّفت، واستطاعت أن تسجل مثل هذه الصفحات المشرقة في تاريخ المسلمين، مما أضفى على رسالتها الحضارية طابعاً متفرداً من الحيوية والتمايز، ولهذا وجدناها قد أدت وبشكل منقطع النظير دوراً رائداً في مسيرة الحضارة الإسلامية، عبر هذه الصفحات المشرقة التي استطاعت أن تكتبها في سجل التاريخ عبر إبداعاتها المتميزة في هذه الحضارة الباسقة.

## الإحالات المرجعية

- (1) د. محمود محمد سفر: **إنتاجية مجتمع**، الكتاب العربي السعودي (107)، دار تهامة للنشر، جدة 1404هـ - 984م، ص 87.
- (2) د. عماد الدين خليل: **تحليل للتاريخ الإسلامي «إطار عام»**، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، الدوحة 1404هـ - 1990م، ص 176.
- (3) د. حسان حلاق: **دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثانية 1419هـ - 1999م، ص 24.
- (4) د. سعيد عبدالفتاح عاشور وآخران: **دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 1416هـ - 1996م، ص 207.
- (5) د. عماد الدين خليل: **المرجع السابق**، ص 176.
- (6) د. حسين مؤنس: **المرأة في منظور الإسلام**، دار الصحوة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 1409هـ - 1989م، ص 19.
- (7) د. عماد الدين خليل: **المرجع السابق**، ص 179.
- (8) د. سعيد عبدالفتاح عاشور وآخران: **المرجع السابق**، ص 257.
- (9) د. عماد الدين خليل: **المرجع السابق**، ص 179-180.
- (10) د. عبدالله أبو عزة: **الإسلام «رسائله، حضارته، مستقبله»**، دار العلم للملايين، بيروت 1408هـ - 1988م، ص 145.
- (11) د. عماد الدين خليل: **المرجع السابق**، ص 181.
- (12) د. فاطمة قدورة: **المرجع السابق**، ص 175-176.
- (13) د. فاطمة قدورة: **المرجع السابق**، ص 176.
- (14) د. عماد الدين خليل: **المرجع السابق**، ص 181.
- (15) د. فاطمة قدورة: **المرجع السابق**، ص 228.
- (16) د. محمود إسماعيل: **تاريخ الحضارة العربية الإسلامية**، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الثالثة 1413هـ - 1992م، ص 183.
- (17) د. فاطمة قدورة: **المرجع السابق**، ص 229.
- (18) د. عماد الدين خليل: **المرجع السابق**، ص 182.
- (19) د. مصطفى علم الدين: **الزمن العباسي**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت 1413هـ - 1993م، ص 93.



- (21) د. عماد الدين خليل: المرجع السابق، ص 182.
- (22) د. سعيد عبدالفتاح عاشور وأخران: المرجع السابق، ص 276.
- (23) د. عماد الدين خليل: المرجع السابق، ص 181-182.
- (24) د. عماد الدين خليل: المرجع السابق، ص 132.
- (25) د. عماد الدين خليل: المرجع السابق، ص 183.
- (26) د. عماد الدين خليل: المرجع السابق، ص 183.
- (27) د. عماد الدين خليل: المرجع السابق، ص 94-95.
- (28) د. عماد الدين خليل: المرجع السابق، ص 183.
- (29) د. عماد الدين خليل: المرجع السابق، ص 183.
- (30) د. محمد حسين شندب: **الحضارة الإسلامية في بغداد في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري [467-512]**، دار النفائس، بيروت 1404هـ - 1984م، ص 172.
- (31) د. محمد حسين شندب: المرجع السابق، ص 173.
- (32) د. محمد حسين شندب: المرجع السابق، ص 175-176.
- (33) د. محمد حسين شندب: المرجع السابق، ص 176.
- (34) د. محمد حسين شندب: المرجع السابق، ص 176-177.
- (35) د. محمد حسين شندب: المرجع السابق، ص 177.
- (36) د. محمد حسين شندب: المرجع السابق، ص 177-178.
- (37) د. محمد حسين شندب: المرجع السابق، ص 178.
- (38) د. سعيد عبدالفتاح عاشور، وأخران: المرجع السابق، ص 276.
- (39) د. عماد الدين خليل: المرجع السابق، ص 183.
- (40) د. بشير رمضان التليسي ود. جمال هشام الذويب: **تاريخ الحضارة العربية الإسلامية**، دار المدار الإسلامي، بيروت 1423هـ - 2002م، ص 206.
- (41) د. محمود إسماعيل: المرجع السابق، ص 183.
- (42) د. بشير التليسي ود. جمال الذويب: المرجع السابق، ص 206-207.
- (43) د. محمود إسماعيل: المرجع السابق، ص 183.
- (44) د. عبدالرحمن علي الحجّي: **الحضارة الإسلامية في الأندلس «أسسها، ميادينها، تأثيرها على الحضارة الأوروبية»**، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت 1389هـ - 1969م، ص 22-23.
- (45) د. عبدالرحمن علي الحجّي: المرجع السابق، ص 26.

- (46) د. عماد الدين خليل: المرجع السابق، ص 182-183.
- (47) د. محمود إسماعيل: المرجع السابق، ص 183.
- (48) د. محمد عبدالله عنان: **الدولة العامرية وسقوط الخلافة الأندلسية**، الجزء الثالث من كتاب دولة الإسلام في الأندلس، (بلا ناشر)، القاهرة 1378هـ - 1958م، ص 34.
- (49) د. محمد عبدالله عنان: المرجع السابق، ص 34-35.
- (50) د. عماد الدين خليل: المرجع السابق، ص 183.
- (51) د. عبدالرحمن علي الحجي: المرجع السابق، ص 27.
- (52) ماري ج. فيغيرا: **أصلح للمعالي: عن المنزلة الاجتماعية لنساء الأندلس**، د. سلمى الخضراء الجيوسي (المحررة)، كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، الجزء الثاني، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الثانية 1420هـ - 1999م، ص 1012.
- (53) د. حياة ناصر الحجي: **أنماط من الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في سلطنة الماليك في القرنين الثامن والتاسع الهجريين = الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين**، جامعة الكويت، الكويت 1415هـ - 1995م، ص 7-8.
- (54) د. محمود إسماعيل: المرجع السابق، ص 183.
- (55) د. سعيد عبدالفتاح عاشور، وآخران: المرجع السابق، ص 276.
- (56) د. سعيد عبدالفتاح عاشور، وآخران: المرجع السابق، ص 276-277.
- (57) د. سعيد عبدالفتاح عاشور، وآخران: المرجع السابق، ص 277.
- (58) د. محمود محمد سفر: المرجع السابق، ص 88.
- (59) د. أنور الجندي: **الإسلام وحركة التاريخ رؤيا في فلسفة تاريخ الإسلام**، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1400هـ - 1980م، ص 466.
- (60) أنور الجندي: المرجع السابق، ص 467.
- (61) د. عماد الدين خليل: المرجع السابق، ص 180-181.
- (62) د. عماد الدين خليل: المرجع السابق، ص 181.
- (63) د. عماد الدين خليل: المرجع السابق، ص 183.
- (64) د. عماد الدين خليل: المرجع السابق، ص 184.

